Text Grammar in the Letters of Ibn al-Ameed

Loay Badran

Abstract

Ibn al-Ameed's letters serve as fundamental models for the study of text grammars. These letters contain internal and external textual structures that affect and influence the communicative function of the text, according to both the Western as well as the classical and modern Arabic lexicon. This paper aims to examine Ibn al-Ameed's letters in order to confirm all the levels of the theory of text grammar. The paper employed a descriptive approach to study the letters and studied the text models in their full form. The paper concludes with several results including the following: Ibn al-Ameed uses the techniques of deletion and connection in his letters. These are two important aspects for textual coherence. Moreover, the phonetic aspect allows for the formation of the highest levels of textual coherence in the letters. The latter has been described by the science of text grammar as one of the most important factors of textual coherence.

Keywords: sentence grammar; text grammar (text linguistics); letters; Ibn al-Ameed

ISSN : 1026-9576

DOI : 10.34120/0117-039-155-006

نحو النصّ في ترسّل ابن العميد

لـــــؤي عـــمـــر محـــمـــد بـــــدران

أســـتـــاذ مـــســـاعـــد، قـــســـم الـــلـــغـــة الـــعـــربـــيـــة، كلية الـــتـــربـــيـــة، جـــامـــعـــة زايـــد، الإمـــــارات الـعـربـيـة المـتـحـدة.

الملخص

تعد رسائل ابن العميد أنموذجاً خصباً لدراسات "نحو النصّ"؛ نظراً لما في متونها من بنى نصية داخلية وخارجية متضامة، فاعلة، ومؤثرة في الوظيفة التواصُلية للنص وفق تنظير الدرس اللّسانيّ الغربي والعربي القديم والحديث على حد سواء. ولمّا كان الجانبُ التطبيقيُّ لدراسات "نحو النصّ" يستعصي على بعض الدراسات التي عالجت النصوص القديمة ولا سيما الرسائل منها؛ رأت هذه الدراسة أن تولي اهتمامها لنصوص ابن العميد كاملة لا منقوصة، ولذلك تناولت أكثر من أنموذج من رسائل ابن العميد غير مجتزأة، لجوانب التطبيق حتى تتضح الرؤية، وتكون بعيدة عن ضبابية التنظير، وكي تتجاوز الجانب النظري إلى التطبيقي.

الكلمات المفتاحية: نحو النصّ (لسانيات النصّ)، رسائل، ابن العميد.

المقدمة

استعانت الكثير من الدراسات النقديّة الأدبيّة واللغويّة بنظرية "نحو النصّ"، التي تشكّلت واستقرّت وفق تقاطعاتٍ محددةٍ اتفقَ عليها اللّسانيّون بعد أن تنوعت مفاهيمها وتعدّدت؛ ليهتدي الدرسُ النحويُّ الذي تقوم عليه نظرية "نحو النصّ" إلى ما يجعل الملفوظ أو المكتوب نصّاً، وهو ما ستبينه هذه الدراسة في الجانب النظريِّ منها.

بيد أن هذا الاهتداء – وإن تقاطعت فيه كثير من الآراء – لم يكن الغاية النهائية التي يبحث عنها علم "نحو النصّ"؛ إذ لا بد من الاهتداءِ إلى ما يوجه النص توجيهاً نحويّاً تواصليّاً بين باثٍّ ومستقبلٍ. وحقيقة هذا التوجيه هو العيار الفصلُ للحُكم على نصيَّة النص من غيرها؛ فالترابطُ النحويُّ لا بد له من ترابطٍ تواصليٍّ، والترابطُ التواصليُّ لا يمكن أن يتحقق دونما ترابطٍ مضمونيٍّ، ومن هنا تأتي أهمية الجانب التواصلي؛ فنحو النصّ لم يعد مقتصراً على تتبع متتالياتٍ جُمليّةٍ أو إحالاتٍ نصيّةٍ؛ إذ لا بد من تكامل المستويات على أنواعها في النص؛ ولذلك كان من الطبيعي أن يتتبع علم "نحو النصّ" المستوياتِ الصوتيّةَ والدلاليّةَ أيضاً، ويتجاوز المستوياتِ النحويَّةَ التركيبيَّةَ؛ بمعنى أن الترابطَ الشكليَّ لا بد أن يتصل بترابطٍ دلاليٍّ.

وبناء على هذا الفهم، كانت رسائلُ ابن العميد حقلاً خصباً لمثل هذا النوع من الدراسات، التي لم تلْقِ بالاً لهاتيك الرسائل. ومن هنا تأتي مشكلةُ هذه الدراسة التي ترى في نصيّة رسائل ابن العميد ما يؤكد نظرية علم "نحو النصّ" وفقَ مستوياتها كاملة. ومن هنا انتهج البحث المنهج الوصفي إضافة إلى منهج "نحو النصّ"؛ على اعتبار أنه يتجاوز المناهجَ النقديّةَ واللغويّةَ التقليديّةَ، التي اكتفت بقرائن اللفظ والمعنى في دراسة رسائل ابن العميد من خلال نماذج نصيّة كاملة لا مُجتزأة؛ لأجل تأكيد تحقُّق معايير نحو النصّ وفق المستويات كاملة، فلا يبدو التركيزُ على جمل متتالية منتقاة من هاتيك النصوص، وهو ما يعتور كثيراً من الدراسات التي تجتزئ فقرة أو جملاً متتالية من هذا النص أو ذاك للحكم عليه، فنصيّةُ النصِّ لا يمكن أن تعالجَ من خلال اجتزاء كلمة أو جملة؛ بل لا بد من معالجة النصِّ كاملاً. وترى الدراسةُ أخيراً أن النصوصَ المتمثِّلةَ في الرسائل عموماً ورسائل ابن

العميد خصوصاً (بنوعيها الديوانية والإخوانية) الأفضل إلى الخطابِ الواقعيِّ، وفيها ما يحقق مستويات علم "نحو النصّ".

أولاً - ماهيّة النص

حار النّقدُ اللّسانيُّ - على ما يبدو- في تقعيد مفهوم جامع لماهيَّة النصِّ، وهذا ما يفند تعدد المفاهيم وتنوعها لهاتيك الماهية؛ وذلك تبعاً للمُنطلقِ النقديِّ اللغويِّ الذي يتبناه اللّسانيّون أنفسُهم؛ فمنهم مَن انطلق من الركيزة اللغويّةِ المحضة، ومنهم مَن انطلق من منظورٍ ثقافيٍّ، ومنهم مَن تجاوز حدودَ النصِّ وهو يقعّد للمفهوم، ومنهم مَن جعل القارئ جزءاً من النص بوصفِه مشاركاً بل مولدَ ومنتجَ دلالاتِ ما بعد النص، ومنهم مَن لم يعترف بكاتب النص نفسِه، وآخرون جعلوا القارئَ هو النصُّ، وأن مؤلِّفَه لا محالة ميت، وهو ما ذهب إليه بعضُ النقادِ اللغويين، ويترأسهم في هذا المضمار (رولان بارت) الذي نادى بنظرية موت المؤلف.

ولست أستزيد على ما جاء به الأستاذ عفيفي الذي يرى في "نحو النصّ" درساً نحويّاً جديداً، وهو يصف حالةَ تعددِ المفاهيم التي تجاوز بعضُها الغموضَ والتعقيدَ - وإن كان هذا محموداً في بعض الكتابات الإبداعية - فيقول: "فبعضُ تعريفات النص تعتمد على مكوّناته الجملية وتتابعها، وبعضُها يضيفُ إلى تلك الجمل الترابطَ، وبعضٌ ثالثٌ يعتمد على التواصُلِ النصيِّ والسياقِ، وبعضٌ رابعٌ يعتمد على الإنتاجيّةِ الأدبيّةِ أو فعل الكتابة، وبعضٌ خامسٌ يعتمدُ على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّاً؛ فيكون لدينا حصيلةٌ كبرى من التعريفات التي تقرّبنا من ملامحه"[1].

وبناء على الفهم السابق، تباينت وتعدّدت مفاهيمُ النصِّ؛ فقد ذهب بعضُ اللّسانيّين إلى أنّ النصّ هو: "بنيةٌ مترابطةٌ تكون وحدة دلالية"[2].

بيد أن البنيةَ النصيَّةَ بنيتان: صغرى وكبرى؛ فالصغرى هي الجملة، في حين أن البنية الكبرى هي النص؛ لذا يعدّ "تصور الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على

مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية؛ وبذلك يمكن أن يشكل تتابعاً كليّاً أو جزئيّاً لعددٍ كبيرٍ من القضايا، وحدوداً دلاليّةً على مستوى أكثر عموميّة "[3].

ويبدو أن عفيفي يرتقي بمفهوم النصِّ بوصفه وحدات دلالية إلى دور هذا النص ووظيفته، التي عدّها جزءًا أساسيّاً منَ مفهوم النص نفسه؛ فيرى "أنه وسيلةٌ لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئًا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفاً في حدِّ ذاته؛ وإنما هو طريق للخطاب "[4]. وإذا كان النصُّ طريقاً للخطاب كما يتبدى في القول السابق، فهذا يعني أن النصَّ من مكونات الخطاب؛ بمعنى أنه أعم من النص نفسه وأشمل؛ كونه يتجاوز النص المكتوب إلى النص المنطوق أحياناً، وتكون دائرة الخطاب أوسع من دائرة النص.

ثانياً - نحو النصّ: المعايير والترابط والوسائل

1- المعايير

ثمة فرق بين النص الذي يقومُ على الترابُط الشكليِّ الجُمليِّ وبين النصيَّة التي تحقق مقروئيّة النصِّ، التي هي النتيجة الحتمية لوظيفة النص التواصلية، فقد بات المستويان (المعجمي والبلاغي) قاصرَين على إحداثِ ذلك التفاعُل بين النص والمتلقي، إذ تجاوز الدرسُ اللّسانيُّ الحكمَ على نصيَّة النص إلى مستويات أخرى، لعل أهمها المستويات الصوتية والدلالية والتركيبية النحوية. ومن هنا ظهر النقدُ النحويُّ للنصِّ ليس بوصفه قائماً على الوظيفة الشكليّة؛ بل تجاوز ذلك إلى الوظائف الدلالية.

وهذا ما ذهب إليه سعد مصلوح ـ على ما يبدو ـ عندما تنبَّه إلى أن النصَّ لا يقومُ "على الترابُط الشكلي الذي يتكون من خلال استخدام أدوات الربط والضمائر والحذف فحسب؛ بل إنه يتجاوز ذلك إلى القاعدة الدلالية "[5].

فمصلوح يرى أن الدرسَ اللّسانيَّ تجاوزَ في دراسته الترابُطَ الشكليَّ له، لا سيما الناتج منه "عن بنية السياق النحويِّ، إلى ما يظهر فيه من تراكيب نصية على اختلافها،

وأبنية التطابق، والجمل المفسّرة، والتقابل، والمحورية، والتحويل إلى الضمير، وسوى ذلك مما يتجاوز الإطار للجملة المفردة "[6].

ومن هنا يمكن أن نقول: إن للنصِّ معاييرَ يمكن أنْ تُحدِّدَ نصّيَّته، وقد يتبدى ذلك في كثير من مصنفات اللّسانيّين، ويبدو أننا أقرب إلى المعايير التي حددها (دريسلر)؛ لأنها الأقرب إلى الشمول، ومن أهمها[7]:

1- السبك: ويعني الربط الرصفي النحوي السطحي، وتشكيل النحو في النص وتكوّنه، وهذا يتصل بالإحالات، والربط، والحذف، والوصل، وسوى ذلك.

2- الحبك: وهو طريقة ربط الأفكار وأثرها في تنظيم الحدث وتسلسله داخل الخطاب النصي.

3- القصد: ويعني هدف النص.

4- الاستحسان: وهو مقبولية النص وإفهاميته لدى المتلقي.

5- الإخبارية: وهي ما يحمله الخطابُ النصيُّ من أخبار ومعلومات.

6- المقامية: وهي ما يتعلق بالسياقات الاجتماعية والثقافية للنص، وأثرها في التحكم بدلالية النص.

7- التناص: وهو قائم على الخبرات السابقة.

أما السبك؛ فقد أشار الجاحظ إليه بوصفه عياراً للنص، وذلك يتبدى في قوله جليّاً: "وأجودُ الشعرِ ما رأيته متلاحمَ الأجزاءِ، سهل المخارج؛ فنعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً أو سبكَ سبكاً واحداً، يجري على اللّسان كما يجري الدهان"[8]. وأما الحبك، فهو التماسك الدلالي. وأما القصد (هدف النص)، فهو الأساس الذي انطلق منه (رولان بارت)، وهو يقعد لمفهوم النص الذي رأى النصيَّة في فضائِه الخارجيِّ. وأما الاستحسان، فهو متصلٌ بعلاقة النص والمتلقي، وهو ما أعلى (بارت) من شأنه أيضاً، إذا استحال النص هو المتلقي وهو القارئ. وأما الإخبارية، وهو خاص بمكون الخبر قبل إرساله. وأما المقامية المرتبطة بالسياق الثقافي، فكانت ركيزة بارت في مفهومه للنص

أيضاً كما مر آنفاً في هذه الدراسة. وأما التناص، فقد عدّه النقدُ الألسنيُّ من أهمِّ المعاييرِ النصيَّةِ، في حين سوّغَه النقدُ الأدبيُّ "ببواعثَ عدة، منها التأثُّرُ والتأثيرُ، ومنها التضمينُ، ومنها السرقاتُ، ومنها ما اتصل بقدرات الشاعرِ التي لا تتعدى كونه محاكيًا" [9].

2- الترابط

يتجاوز "نحو النصّ" التحليلَ البلاغيَّ والأسلوبيَّ في تفسير التراكيب داخلَ النص؛ وهذا أدى إلى وجود شكلين للترابُطِ النصيِّ، هما: الترابط الرصفي والترابط المفهومي.

الترابط الرصفي: هو "أقربُ إلى ظاهرِ النصِّ، ويرتبطُ بالدلالة النحويَّةِ التي تعنى بكيفيّة انتفاع المُتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكّرهما" [10].

الترابط المفهومي: يعنى به الترابُط المُتّصل بالنحوِ الدلاليِّ "الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم؛ مثل فاعل، وحدث، وحالة، وصفة؛ من أجل إيجاد معنًى كليٍّ للنص" [11].

ويبدو أن فكرةَ إيجاد المعنى الكُليِّ للنصِّ الناتج عن الارتباط بين الحدث والحالة والصفة – كما يفهم من القول السابق – مستمدةٌ من فكرة (فان ديك)، وهو يتحدث عن المحيلات النصية التي تترابط لخلق فقرة نصية، يقول واصفاً هاتيك العلاقات بين المحيلات النصية: إنها: "ضرورية لربط الفقرة النصية حين ترتبط الوقائع بعضها ببعض أيضاً في الوقت نفسه، وفي هذه الحال يعني هذا أن معاني أجزاء جمل أخرى أيضاً (الأفعال، والصفات، والظروف... إلخ) التي تؤدي من خلال هذه المحيلات يمكن أن تترابط أيضاً" [12].

ويرى (فان ديك) أن الكلمات يمكن أن تتضام في وحدات كبرى مشكلة الوحدة الأساسية/ الجملة؛ فهو يرى أن العلاقات بين الجمل نفسها يجب أن توصف "بين الجمل على المستويات ذاتها (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية) كأبنية للجمل" [13].

3- وسائل الترابط النصي

تناقل الدارسون فيما بينهم وسائل الترابط النصي، وقد خلصوا إلى أهم هذه الوسائل على النحو الآتي[14]:

1- إعادة اللفظ: وتعني التكرار الذي ينقسم إلى تكرار محض وجزئي ومترادف وجراماتيكي وجناس ولفظ جملة.

2- التضام: وله ثلاثة أشكال: التضاد والتنافر وعلاقة الجزء بالكل.

3- التعريف: (أل) / التعريف بالإضافة.

4- الإحالة: الضمائر/ الاسم الموصول/ أسماء الإشارة / أدوات المقارنة / . . . وهي داخلية وخارجية:

5- الاستبدال: وتعني استبدال عنصر معجمي/ نحوي بآخر، ومن طرقه الاستبدال الاسمي والفعلي والقولي.

6- الحذف: وطرقه: اسمي وفعلي وداخل ما يشبه الجملة.

7- الربط الرصفي: وطرقه: مطلق الجمع والتخيير والاستدراك والتفريغ.

ما قبل النص

مكانة ابن العميد

ابن العميد واحدٌ من الكتاب المبرزين في تاريخ الكتابة العربية، لا سيما الرسائل منها بوصفها جنساً أدبيّاً يُعنى بالنصّية النثريّة، ومن هنا تأتي أهمية رسائله، ولما سُئل الجرجاني عن ابن العميد قال: "وجملة الأمر أن ابن العميد كان حسن الكتابة، غزير الإنشاء، جيد اللفظ "[15].

وأشار ابن خلكان إلى أن ابن نباتة كان قد مدح ابن العميد[16]؛ مما يدل على مكانته،

كما أشار إلى أن الصاحب بن عباد مدح ابن العميد أيضاً، وأورد أبياتاً شعرية في ذلك؛ مما يؤكد تلك المكانة[17].

وفي جانب آخر، كان ابن العميد مطبوعاً على الشعر، وكان لا يخفى عليه جيده من رديئه[18]، وهذا يعني أنه كان جامعاً لجنسي الأدب: النثر والشعر، وتجاوز ذلك إلى مسائل النقد، كما يتضح من القول السابق؛ فابن العميد جمع بين قريض الشعر ونسيج الكتابة، وأورد صاحب اليتيمة غرراً من شعره، كما أورد له ما جرى مجرى الأمثال.

وكتب ابن العميد الرسائل الديوانية (الرسمية) والرسائل الإخوانية، ويرى الثعالبي أن أفضل رسائله من الإخوانيات، لا سيما التي كاتب بها "أبا العلاء لصدوره عن صدر مائل إليه، مُحب له، مناسب بالأدب إياه"[19]. وأبو العلاء هذا كان من منادميه ومكاتبيه النثر والشعر، المقربين[20]. فابن العميد شكل دعامة من دعائم التراث الأدبي العربي في وقت كان تنافس الأدباء فيه على أشده، بصورة تتفق وأذواق الطبقة الممتازة، وتتلاءم وأسلوب حياتها السياسية والاجتماعية؛ مما جعل الأدب يتجه إلى التأنُّق والتجويد والحلية اللفظية[21].

وبذا تمحوَرت الأجناسُ الأدبية التي اشتغل عليها ابن العميد في الرسائل خاصة مُضمَّنة بالأمثال، وهي النصوص التي ستُطبق عليها نظرية "نحو النصّ" وعوامل تماسكه فيها بشيء من التفضيل. ورأت الدراسة أن تأتي بنصوص الرسائل كاملة هنا؛ حتى لا تعتورها مسألة انتقائية الجملة أو الفقرة لإثبات النظريّة التعليميّة بقدر ما تذهب الدراسة هنا إلى النقد اللّسانيّ؛ إذ لا بد من معالجة النص كاملاً وليس مُجتزَأً.

ونظراً لهذه المكانة الأدبيّة التي شغلها ابن العميد؛ فقد عنيت أكثر من دراسة برسائله وتصنيعه، ومن ذلك ما تبدى في كتاب الدكتور شوقي ضيف الموسوم بـ (الفن ومذاهبه في النثر العربي)، الذي تناول فيه تصنيع ابن العميد[22]، وأهم الآراء المتقدمة في فضل الكتابة عند ابن العميد من منظور اعتماد أسلوبه على المحسنات البديعية.

ومن هاتيك الدراسات، رسالة الماجستير الموسومة بـ (فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب، وابن العميد) للباحث فيصل محمود العلي، التي تبين فيها أهم المميزات الفنية

لترسل كل منهما، وكيف وصلا إلى هذه المكانة المرموقة، وما الصفات التي اشتركا أو اختلفا فيها، وغير ذلك من الأمور. وخلصت الدراسة إلى أن ابن العميد اهتم بالسجع والمحسنات البديعية على اختلافها مع تفاوت في درجة الاهتمام، وإلى أنّ جلّ أسلوب ابن العميد اعتمد على السجع والمحسنات البديعية[23].

ومن الدراسات التي تناولت ابن العميد، تلك المُعْنَوَنة بـ (رسائل ابن العميد: دراسة فنية) للباحث رامي عثمان المرابطة، وقد جرّدها إلى ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول تطور الكتابة في العصر العباسي الثاني، مبرزاً أهم الظواهر الفنية التي سيطرت على الرسائل، والثاني جرد إلى آراء النقاد والأدباء في ابن العميد، والثالث الذي وسمه بجسم البحث. لقد بين فيه أنواع الرسائل، التي هي: الإخوانيَّة، والرسميَّة، والتأمليَّة، محلّلاً ما فيها من فنون أدبية ومحسنات بديعية. ومن بعض ما خلصت إليه الدراسة، أنّ السجعَ أصبحَ الثوبَ المطرّزَ الذي يطرز الرسائل في القرن الرابع الهجري[24].

النص - الرسائل

من المعروف أنّ ابن العميد كتب في الرسائل الديوانية (الرسمية) والرسائل الإخوانية، وفي هذه الدراسة سنتناول نماذج من هذه الرسائل ومن مصادر مختلفة. أما النموذج الأول[25]؛ فهو تلك الرسالة الديوانية التي كاتب بها ابنُ العميد ابنَ بلكا ونداد بن خورشيد مرغباً ومرهباً، بعد أن استعصى على ركن الدولة، وهذا النموذج كان الثعالبي قد أورد له فصلاً من أوّله وفصلاً آخر منه.

وأما النموذج الثاني؛ فتلك الرسالة التي وجهها ابن العميد إلى صاحبه ابن أبي عبد الله الطبري، وأوردها الحصري القيرواني في زهر الآداب، وهي رسالة في الإخوانيات.

وأما النموذج الثالث؛ فرسالة كاتب بها ابنُ العميد أيضاً صاحبَه ابنَ أبي عبد الله الطبري، وهي رسالة نقدية في الفن والمضمون.

وأما النموذج الرابع؛ فرسالة لأبي شجاع عضد الدولة، مثّلت أنموذجاً في كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان، وأوردها القيرواني في زهر الآداب[26]، وحسبنا هذه النماذج لتأكيد النظرية.

النموذج الأول: رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا

(فصل من أولها):

كتابي وأنا مترجحٌ بين طمعٍ فيك ويأسٍ منك، وإقبال عليك وإعراض عنك؛ فإنك تدل بسابق حرمة وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمالك. أقدِّم رِجلاً لصدمك، وأؤخِّر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنّاً بالنعمة عندك، ومنافسة في الصنيعة لديك، وتأميلاً لفيئتك وانصرافك، ورجاء لمراجعك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك. فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويذهب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم الصالح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو. وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة إلى انجلاء. وكما أنك أتيت من إساءتك بما لن تحتسبه أولياؤك، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك. وكلما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصرُ فيها قبحَ ما صنعت وسوءَ ما آثرت. وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن طمعاً في إنابتك، وتحكيماً حسن الظن بك. فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار، وأرادفه من إنذار احتجاجاً عليك واستدراجاً لك. فإن يشأ الله يرشدك ويأخذ بك إلى حظك ويسددك، فإنّه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وفصل منها:

"وزعمت أنها في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك، فقد عرفت حاليها وجلت شطريها، فنشدتك الله لما صدقت عمّا سألتك: كيف وجدت ما زلت عنه؟ وكيف تجد ما صرت إليه؟ ألم تكن من الأول في ظل ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل، وهواء غذي، وماء روي، ومهاد وطي، وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف، ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان؟ عززت به بعد الذلة، وكثرت بعد القلة، وارتفعت به الضعة، وأيسرت بعد العسرة، وأثريت بعد المتربة، واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات، وخفّفت فوقك الرايات، ووطئ عقبك الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر ويكاثر بك، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك، وفي المحاضرة ذكرك. ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عددت؟ والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحسار عنك؟ أظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب؟ قل: نعم! كذلك فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة وأروحها في الآجلة، إن أقمت على المحايدة والعنود، وقفت على المشاقة والجحود، ومنها تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها، والمس جسدك وانظر، هل يحس؟ واجسس عرقك، هل ينبض؟ وفتش ما حنا عليك، هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده، وآخر شأنك بأوله" [27].

عوامل التماسك النصي في الرسالة

يمثل هذا النص رسالة كاتب بها ابنُ العميد "ابنَ بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة البويهي" [28]، وهو قائد من قواد العسكر كما يتبدى ذلك في النص.

ولعل ما يسترعي الانتباه ههنا أن الثعالبي أعلى من شأن هذه الرسالة، يقول: "وقد

أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقده، وما ظنك بأجود كلام لأبلغ إمام " [29].

وللولوج في النص، واستكناه القيم الدلالية والإفهامية في هذه الرسالة، واستجلاء عوامل التماسك النصي فيها، وأثرها في بنية النص السطحية الشكلية الناتجة عما أنتجته الوظائف النحوية واللغوية، وما تعبر عنه من دلالات ومقبولية وطّدت من علائق التواصل الذهني بين النص والمتلقي؛ لا بد من الإشارة إلى أثر النص النفسي في المرسل إليه وانصياعه لإرادة المرسل، وهو ما أشار إليه الثعالبي. فمضمون هذه الرسالة هو رد ابن بلكا إلى جادة الصواب بعد عصيانه، وحثه على العودة إلى ركن الدولة، ممتطياً الترغيب والترهيب من خلال عقد المفارقات التي آل إليها موقف ابن بلكا الذي ارعوى للأمر وانثنى للرسالة؛ فأحدث النص فيه صدمة لا يقوى السيف على إحداثها، وهذا ما يتبدى في قوله: "بلغني أن ابن بلكا – وكان آدب أمثاله – كان يقول: "والله ما كانت بي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي وردي إلى طاعة صاحبه " [30].

وإذا ما بدأنا نتتبع عوامل التماسك النصي في هذه الرسالة، فإننا نجدها قد عملت على تصنيع نصٍّ خطابيٍّ متعدد البنية، عبّر عن معمار لغوي وفني متماسك مترابط؛ فبدت النصية متّكئة على التماسك والاقتران والتضام والاستبدال والإحالات والتكرار الذي يعني إعادة اللفظ مما حقق النصية. فكانت الأصوات المنبعثة من الجناس الناقص الذي يعني شبه التكرار تعمل على التشكل الصوتي، الذي كان من أهم وسائل الترابط النصي، في حين مثّلت الألفاظ المنتقاة (الوحدات الدلالية) بناء ثانياً، ومثّلت الوحدات التركيبية مجتمعة هيكل النص الكلي؛ وبذا تكاتفت الأدوات النصية معاً لتنتج دلالات وبنى متماسكة محبوكة، وهو ما ساعد ابن العميد على تحقيق هالة النص بوصفها مرتكزاً نصيّاً مشعّاً أولاً لدى المتلقي ساعدت على إفهامه، وحققت له المقبولية، إذ أسهمت تلك الصيغ في إقناع السامع/ المتلقي لتبدو الرسالة مجموعة من العلاقات المتشابكة بين المكونات الجملية للنص، وهو ما يمكن تسميته نسيج النص الذي لم ينفصل عن السياق

الاجتماعي والثقافي الذي تحدث عنه (رولان بارت) في صفحات سابقة.

ولتبين حقيقة ما ذُهبَ إليه آنفاً، فإن أول تلك العوامل التي حققت مقبولية اقتران الجمل وتضامها في هذه الرسالة، هو أنّ ابن العميد استعان بقاعدة ذكر الشيء أولاً ثم تفصيله، وهنا تتمثل حالة الربط القبلي بالبعدي، فقد بدأ الرسالة بذكر الدال (مترجح)، ومضى يفصله في الجمل اللاحقة؛ لتبدو الدوال اللاحقة كلها (مترجحة)، وهذا يطابق تماماً الحالة النفسية التي يفترضها ابن العميد عند ابن بلكا، القائمة على الاضطراب وضبابية الموقف الناتجين عن عصيانه، وكيف تنازعه قطبان الأول (العودة إلى الطاعة) والثاني (الاستمرار في رفض الطاعة).

فمن هذه الدوال: ما ترجح بين (طمع فيك ويأس منك) و(إقبال عليك وإعراض عنك)، وهي دوال خصها ابن العميد نفسه، وقصد بها ابن بلكا، ومنها أيضاً (محافظة/ خيانة، يرعى/ يمحق، أقدم/ أؤخر)، وهذه الدوال تحيلنا إلى الدال (مترجح)، الذي بدأ ابن العميد رسالته بها، وهو توظيف للاستبدال الذي يزيد من لحمة النص، ويحقق النصية الصارمة. ولم يكتفِ ابن العميد بالضمائر فحسب، بوصفها الأدوات الأساسية للإجراء الإحالي، فنجده ذهب إلى الدوال، وهو ما أثر في رد الثاني على الأول على طريقة رد الأعجاز على الصدور في الشعر، وهذا يعني ربط اللاحق بالسابق.

ولئلا ننزع النص من سياقه؛ لنقرأ الجزء الأول من الرسالة، يقول ابن العميد: "كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعها بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يرعى لك. لا جرم أني وقفت بين ميل إليك وميل عليك، أقدّم رِجلاً لصدمك، وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك"[31]. فسرعان ما يظهر الصوت المنبعث في نهاية الجمل، المتمثل في السجع الذي هو ثاني عوامل التماسك النصي في الرسالة، فتكرار صوت حرف الكاف في الجملة الأخيرة من النص السابق يحيلنا إلى نهاية الجملة السابقة، وهكذا إلى أن نصل إلى الجملة الأولى، والعكس صحيح؛ بمعنى أن تكرار صوت حرف

الكاف في الجملة المسجوعة الثانية يجعلنا نتوقع السجعة والجناس، وهذا يعد من أهم عوامل التماسك النصي في الرسالة؛ فهي روابط صوتية تشد الرسالة من أولها إلى آخرها دونما انقطاع؛ ومن ثمّ تشد من نسيج النص ولحمته، فالسجع والجناس أحالا النص إلى قطعة موسيقية متنوعة الألحان، ومثال ذلك قول ابن العميد: "ألم تكن من الأول في ظل ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل، وهواء غذي، وماء روي، ومهاد وطي، وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف، ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان؟ عززت به بعد الذلّة، وكثرت بعد القلة وارتفعت به الضعة" (32).

ومن عوامل التماسُك النصيِّ وتواصُله في هذه الرسالة، الحذفُ والتكرارُ مجتمعين، ويتبدى ذلك في حذف حرف التشكيك (قد) في الجمل المتعاقبة على الجملة الأولى المصدرة بـ (قد)، المتصلة بدلالة مؤداها التشكيك في أن الذنوب مطلقة لا توبة لها، وفي ذلك دعوة ترغيبية من ابن العميد لابن بلكا كي يعود إلى الطاعة، يقول ابن العميد: "فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويذهب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم الصالح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو" (33).

وأدى هذا الحذف إلى الوصل، وكان أبلغ من إيراده لاعتماده على المقامية. كذلك نجد انتقاء ابن العميد الحرف (ثم) كما يظهر في النص السابق؛ ليخدم دلالة التمهل، فحال الخطاب كأنما يقول: كان عليك يا ابن بلكا أن تستأني فيما صنعت، وهأنذا أمنحك فرصة أخرى لتتخذ قرار الطاعة بتمهل.

ومما يجعل الرسالة متماسكة متضامنة التكرار، وهو يبدو في جانبين، الأول: تكرار (ما) الموصولة، والثاني: تكرار الاستفهام، وهما سمتان أسلوبيتان واضحتان في الرسالة. أما التكرار الأول، فاستخدمه ابن العميد بمقام (أل العهدية) وكأن تكرارها (ما موصولة) مرتبط بدلالة الذنب الذي اقترفه ابن بلكا في خروجه، وهو تذكير من ابن العميد متواصل يولد ضغطاً نفسيّاً كبيراً لدى المتلقي/ ابن بلكا؛ وبذا تقوم (ما) الموصولة

بدورين، الأول: التماسك الشكلي النحوي في الجمل، والثاني: تماسك الجمل بالجانب الدلالي الناتج عن تكرارها. يقول ابن العميد: "وكما أنك أتيت من إساءتك بما لن تحسبه أولياؤك، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك. وكلما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما آثرت. وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن طمعاً في إنابتك، وتحكيماً لحسن الظن بك. فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار. . . "[34].

وأما التكرار الثاني (تكرار الاستفهام)؛ فهو لا يقتضي جواباً لابن العميد، وجاء على هيئة التقرير. فجمهرة الأسئلة التي وجهها ابن العميد توحي بمعرفته التامة عما يسأل، وهو ما يسهم في تطويق ابن بلكا بجدار نفسي لا يمكن له أن يتجاهله أو أن يتخلص منه، يقول ابن العميد: "ففيم الآن أنت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحسار عنك؟ أظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب؟ قل: نعم! "[35]، فهذه الجمهرة الاستفهامية أحالت النص قطعة متماسكة متضامنة. ولعل أهم ما نلاحظه في ختام النص السابق أن ابن العميد أردف هذه الأسئلة بعبارة "قل: نعم!"، وهنا تحققت الصدمة لابن بلكا، وكأنه يطلب منه الاعتراف ومن ثم الطاعة، هذا من جانب، ومن جانب آخر، هو سبيل لابن بلكا ليخفف عن كاهله وطء الضغط النفسي الذي تكوّن بفعل جمهرة الاستفهام.

ومن عوامل التماسُك النصي (الذهني) التناص، الذي يعبّر عن خبرة النص بالنصوص الأخرى، وهو كما نعلم من أهم عوامل التماسك النصي وفق الدرس اللّسانيّ، وهذا يتبدى في تناص الرسالة مع النص القرآني الذي حقّق الوصل الذهني مع القرآن الكريم، وفي ذلك أحال المتلقي إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[36]، وفي معرض قوله: "وأيسرت بعد العسرة"[37]، والآية ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾[38]، وفي قوله: "أظل ذو ثلاث شعب. . . "[39]، والآية ﴿لَّا ظَلِيلٞ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾[40].

ومن العواملِ التي أسهمَت في حبك النص، الأفعال المضارعة والأفعال الماضية،

ومدى نسبة تداولهما إذا قورنا بتداول فعل الأمر الذي استخدمه المرسل في ذيل الرسالة سبع مرات فقط، في حين تكررت الأفعال الماضية والمضارعة مئة مرة؛ مما يعني أن الرسالة جاءت في جلّها وصفية، توازن بين الحال التي كان عليها ابن بلكا قبل العصيان، وهذا ما عبّر عنه الفعل الماضي، والحال التي آل إليها، وهذا ما عبّر عنه الفعل المضارع؛ وهذا يعني أن الترجح الذي انطلق منه ابن العميد في بداية رسالته، تمثّل في هذه الأفعال التي وازنت بين السابق واللاحق، وابن العميد يرى في توظيف الفعلين الماضي والمضارع في لغة الخطاب وقعاً أكثر من توظيف فعل الأمر، وكأنه يلقي بالخيارات لابن بلكا.

ومن عوامل التماسُك النصي ما اتصل بالمحسنات البديعية؛ فعدا السجع والجناس اللذين مرّا معنا سابقاً، نجد الترادف بين الجمل، وهو يعمل على زيادة التواصل الذهني بين النص والمتلقي من خلال التعاقب، ومن ذلك: (يؤوب ويثوب) و(قبح وسوء) و(يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية)، وما يميز السجع ههنا أن ابن العميد لم يتقيد بالسجع تقيّداً لازماً يصل حدَّ الملل، وجاءت فقراته قصيرة أنيقة، وظهرت فيها "لهجته الخطابية البليغة"[41]، نحو: "كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه، ألم تكن من الأول في ظل ظليل. . . "، وهو يحيلنا إلى الدال (مترجح).

ومن المحسنات البديعية، الطباق الذي عده الدرس اللّسانيّ والبلاغي والأسلوبي على حد السواء من عوامل التماسك النصي، ومثال ذلك: (الأمن والخوف) و(يذهب ويعود) و(اليسر والعسر). وأخيراً نجد هذه الرسالة قد خلت من البسملة، وهذا يعني الحذف الذي هو أحد عوامل التماسك النصي، وحذف البسملة من هذا النص لربما يعني أنه (أي النص) امتدادٌ لنص سابق في ذهن الكاتب (ابن العميد) يدور في خلده، وهنا يتجلى المسكوت عنه، فابن العميد حافظ على حبك النص واقتران جمله وتضامها بطريقة فنية أحال بها الرسالة قطعة نصية منسوجة متقنة محقّقة أعلى درجات المقبولية والنصية.

النموذج الثاني: (رسالة ابن العميد إلى صاحبه أبي عبد الله الطبري)[42]

وهي رسالة في الإخوانيات، وتبين مدى عمق العلاقة بين الصديقين، والرسالة هي:

" كتابي وأنا بحال لو لم ينغصها الشوق إليك، ولم يرنق صفوها النزاع إليك لعددتها من الأحوال الجميلة، وأعددت حظي منها في النعم الجليلة؛ فقد جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة، وحظيت منها جسمي بصلاح وفي سعيي بنجاح. لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدي عنك، ويخلو ذرعي مع خلوي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك. وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي، وناظم لشمل أنسي؟ وقد حرمت رؤيتك، وعدمت مشاهدتك. وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام، وينفع أنس ميت بلا نظام؟ وقد قرأت كتابك، جعلني الله فداءك، فامتلأت سروراً بملاحظة خطّك، وتأمّل تصرفك في لفظك، وما أقرظهما! فكل خصالك مقرظ عندي، وما أمدحهما! فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقلي. وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديري فيك، فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما ألقى على بصري " [43].

وإذا كان مسوغ اختيار النموذج الأول تمثيله الرسائل الديوانية، فإنّ باعث انتقاء هذا النموذج هو تمثيله الجانب الآخر من رسائل ابن العميد وهو الرسائل الإخوانية.

والبعد الدلالي لهذه الرسالة كما يبينه النص هو علاقته مع أبي عبد الله الطبري، ومدى متانة الروابط الحميمة بينهما، فيخال المرء أن الرسالة مرسلة إلى حبيب لا صديق، فيبدو أن العلاقة التي تجمعها علاقة من نوع خاص، على الرغم من أن ابن العميد كان ينادم غير الرجل، فقد نادم وكاتب "كلاً من أبي العلاء السروي، وأبي الحسن العلوي العباسي، وابن حلاد القاضي، وابن سمكة القمي، وأبي الحسين بن فارس، وأبي محمد بن هندو" [44]. فمضامين الرسالة اقتصرت على بيان الشوق والتعلق الكبير الذي يبديه ابن العميد لصاحبه، وإن توارت هذه المضامين خلف اللوم والعتاب، وهذا ما أفصح عنه ابن العميد في نهاية رسالته، فهي رسالة إخوانية المضمون، أفصحت عن مدى طيب العلاقة بينهما وحسنها.

أما معمار النص في هذه الرسالة، فلم يأتِ أدنى رتبة من رسالته لابن بلكا، التي عولجت ضمن إطار الرسالة نفسها، وهذا لا ينفي عامل التماسك النصي فيها، فكانت النصية متضامة، ودليل ذلك هو أن أول ما يسم معمارها النصي هو انتقاء ابن العميد

دوالها بدقة بما يناسب المقامية؛ ففي الوقت الذي صدّر رسالته بالعبارة (كتابي وأنا) وهو ما يحيلنا إلى صدر الرسالة الأولى المُرسلة إلى ابن بلكا؛ مما يعني تحقّق الوصل الذهني بين الرسالتين مع ملاحظة التباين المقامي والدلالي بينهما؛ إذ نجده ينتقي الدوال الخاصة بمقامية هذه الرسالة، وهي دوال انفعالية بعيدة كل البعد عن الترهيب والترغيب الذي وشح الرسالة الأولى، فمن دواله الانفعالية التي تؤصل وتؤكّد حتمية العلاقة بين الرجل وصاحبه، نجد: (الشوق، صفوها، يصفو، أنت جزء من نفسي، ناظم لشمل أنسي، عدمت مشاهدتك، جعلني الله فداءك، فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقلي)، وهذه الألفاظ تدل على علاقة وطيدة بينهما. كما اتكأ المعمار النصي من جانب آخر على المحسنات البديعة التي قلل من دورها التقليدي طول الجمل؛ مما أبعد عن النص الملل، فكانت كلها مقبولة ومناسبة للمقام الذي يدور الكاتب في دائرته، دون أن يخرج عن ذلك الإطار؛ مما ساعد على حبك الجمل ونسجها وتعالقها لدرجة اقتراب النص من الشعرية، فبدا قصيدة نثرية لكنها موشّحة بالأصوات المتناغمة التي أفضى إليها البديع، فمن الجناس نجد: (لعددتها من الأحوال الجميلة، وأعددت حظي منها في النعم الجليلة)، ومنها (فقد جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة).

ومن السجع الذي حقق للنصية التماسك الصوتي، نجد: (وقد قرأت كتابك جعلني الله فداءك، فامتلأت سروراً بملاحظة خطّك، وتأمّل تصرفك في لفظك).

ولعل أكثر ما يسم المعمار النصي لهذه الرسالة هو أن ابن العميد أسند دواله إلى (ياء المتكلم) أكثر من إسنادها إلى (كاف المخاطب)؛ ليؤكد حضوره في هذه الرسالة، وهذا الحضور يأخذنا إلى دلالة مدى شوقه وتعلقه بصاحبه أبي عبد الله؛ مما يعني أيضاً أن الثاني لا يبادله الشوق بالشوق؛ لأن حضور الدوال التي تعبر عنه قليل، ومن ذلك: (كتابي، حظي، سعيي، لي، بعدي، ذرعي، انفرادي، نفسي، أنسي، جعلني، عندي، ضميري، عقلي، لتقديري، بصري)؛ فهذه الدوال المسندة إلى ياء المتكلم تعمل على ترابط النص من جانب، ومن جانب آخر تعد سمة أسلوبية فارقة في رسالة ابن العميد هذه، وهي تتصل بدلالات نفسية تتعلّق بحاجته الماسة إلى صاحبه، إذ يكفيه من صاحبه خطّه، وفي هذا إحالة إلى ما استنه الشعراء العذريون الذين كانوا يكتفون بنظرة واحدة

من محبوباتهم، وهذه الإحالة إلى النص الخارجي للآخر تؤكد نظرية التواصل الذهني بوصفها أحد عوامل التماسُك النصيِّ التي تعني إحالة المتلقي من نص إلى نص؛ مما يحقق الإفهام لديه.

ولا بد أن نشير قبل الانتقال إلى الرسالة اللاحقة إلى أن ابن العميد نازعه الشكُّ في مصداقية الطبري، وعلى الرغم من هذا الشك فإن ابن العميد لا يخفي حبه وتعلقه الشديدين بصاحبه، فذلك الهوى وما يلقاه غطى على بصره، يقول: "وأرجو أن تكون في حقيقة أمرك موافقة لتقديري فيك، فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما ألقى على بصري".

النموذج الثالث: (رسالة في النقد)

وهذه الرسالة كاتب بها ابن العميد أيضاً صاحبَه ابن أبي عبد الله الطبري، ونصُّها كما أوردها الحصري القيرواني: "وقفت على ما وصف من برّ مولانا الأمير لك، وتوفره بالفضل عليك، وإظهار جميل رأيه فيك، وما أنزله من عرفة يديك، وليس العجب أن يتناهى مثله في الكرم إلى أبعد غاية وإنما العجب أن يقصر في شيء من مساعيه عن نيل المجد كلّه، وحيازة الفضل بأجمعه. وقد رجوت أن يكون ما يغرسه من صنيعة عندك أجدر غرس بالزكاء، وأضمنه للريع والنماء فارع ذلك، واركب في الخدمة طريقة تبعدك من الملال، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال، ولا تسترسل؛ فلأن تدعى من بعيد خير من أن تقضى من قريب. وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل ومن الإسهاب. ولا يعجبنك تأتّي كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقعاً لمثلها، فربما هدم ما بنته الأولى. وبضاعتك في الشرف مزجاة، وبالعقل يزم اللّسان ويرام السداد، فلا يستفزنك طرب الكلام على ما يفسد تمييزك. والشفاعة تعرض لها؛ فإنها مخلقة للجاه، فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها، وتحصل وزنها، وتطالع موضعها. فإن وجدت النفس بالإجابة سمحة، وإلى الإسعاف هشة فأظهر ما في نفسك غير محقق، ولا توهم أن عليك في الرد ما يوحشك، ولا في المنع ما يغيظك. وليكن انطلاق وجهك إذا دفعت

عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ليخف كلامك، ولا يثقل على سامعه منك. أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد؛ فقد جمل الله خصالك، وحسن خلالك، وفضلك في ذلك كل. لكني أنبه تنبيه المشارك لك، وأعلم أن للذكرى موضعاً منك لطيفاً "[45].

الأسس النقدية والتماسك المضموني في الرسالة

ذهبت الدراسة الموسومة بـ(فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد) إلى أن هذه الرسالة رسالة نصح وإرشاد ولوم وعتاب[46]، وجهها ابن العميد إلى من يدعى بأبي عبد الله الطبري، بيد أن أهمية هذه الرسالة تتجاوز ما ذهبت إليه الدراسة الآنفة الذكر؛ ذلك لتضمين ابن العميد الرسالة تقنيات الترسل وأسسه النقدية وتعليلها[47]، فابن العميد يقعد لنا منهجية تقنيات الترسل الذي لا ينفك عن أدواته النقدية التي يقتضيها هذا النوع من الفن النثري، هذا من جانب، ومن جانب آخر، يبدو أن ابن العميد تجاوز هذا إلى أبعد من ذلك عندما حاول أن يضعَ لنا أُسسَ فن التعامل مع الطبقة الخاصة (الأمراء)، فبدا وكأنه عالم بعلم سلوك الخاصة والعامة على حد سواء، ومن ذلك السلوك الذي دعا إليه، ألا يكثر المرء من ملازمة الأمير؛ لما يولده ذلك من ملل في نفس الأخير، وقد يحتمل قوله قراءة ثانية تعليلها نظرة ابن العميد الحاسدة بين الأمير والرعية، فمن المعروف في السلوك الاجتماعي أن التقارب الكثير بين البشر قد يولد ألفة من نوع ما، وليس بالضرورة أن يتولد لدى الأمير الملل، بيد أن ابن العميد يستدرك تلك الشرعة عندما أشار إلى صاحبه أبي عبدالله في ذيل رسالته بأنه يمتلك تلك الخصال، وهي متأصلة فيه ولا تخفى عليه.

وإذا ما تفحصنا الرسالة، فإننا سرعان ما نهتدي إلى أهم الأسس النقدية التي حدد بها ابن العميد آلية الترسل والتواصل.

أولاً: على المترسل ألا يكثر من الاسترسال والإسهاب، يقول: "ولا تسترسل إلى حسن القبول كل الاسترسال"، ومنه أيضاً "وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل ومن الإسهاب".

ثانياً: على المترسل ألا يسهب في الإطناب غير المدروس، وأن يكون منتقى بعناية

فائقة، فليس كل ما يعجب المترسل جيداً، يقول: "ولا يعجبنك تأتّي كلمة محمودة؛ فيلج بك الإطناب توقعاً لمثلها".

إذن، يرى ابن العميد أن على المترسل تجنب مقصدية الإطناب، ويبدو أنه تحسس أثر تلك المقصدية في عصر سادت فيه الصنعة.

ثالثاً: على المترسل أن ينتقي اللفظة الحسنة ذات الوزن والواقع، يقول: "فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها، وتحصل أوزانها، وتطالع موضعها"، وهذا يعني أن ابن العميد يبحث الأثر الصوتي للفظة، لما له من تأثير في نفوس السامعين والمتلقين.

رابعاً: أن يكون وقع الكلام خفيفاً لطيفاً مستساغاً لدى المتلقي/ السامع، يقول ابن العميد في ذلك: "وليكن انطلاق وجهك إذا دفع عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك؛ ليخف كلامك ولا يثقل على سامعه".

ولا تختلف الرسالة عن الرسالة الأولى (النموذج) في هذا البحث فيما يتعلق بنحو النصّ، فقد حققت رتبة عالية جداً من رتب التماسك النصي، وهذا ما يلاحظ في رسائل ابن العميد كافة، فالمعيار الإنشائي ثابت في نسق واحد، فلا نراه يهبط في واحدة دون أخرى.

فقد امتلأت الرسالة بأفعال الأمر والأفعال المضارعة المتصلة بلا الناهية؛ مما يكسبها دلالة الأمر أيضاً، وهذا يتناسب مع موضوع الرسالة لا سيما أنها تتناول ما أشرت إليه من أسس نقدية تطلبت تلك الصيغة/ الأمر، ومن ذلك نجد الدوال الطلبية (لا تسترسل)، (فارع)، (وليكن)، (ولا يعجبنك)، (فلا يستفزنك)، (فلا تهجم)، (فاظهر)، (وليكن)، وما جرى مجرى هذا، فالأمر لم يؤثر في ضعف سبك الرسالة، ولم يقلل من قيمة ترابطها وتماسُكها بل زاد منهما؛ ففعل الأمر الثاني يحيلنا إلى فعل الأمر الأول، وفعل الأمر الثالث يحيلنا إلى الثاني وهكذا؛ مما يحقق ترابط المتواليات الجملية.

ولعل ما يميز هذه الرسالة، ذلك الربط التعليلي للجمل، الذي مثل تماسُكاً نصيّاً متيناً جعل من بنى النص بنية واحدة مجتمعة لا تتجزأ، فكان ابن العميد يدفع بالجملة ثم يعقبها بتعليل مناسب، وأحياناً يلجأ إلى تفسيره، ومن ذلك "فلا يستفزنك طرب الكلام

على ما يفسد تمييزك. والشفاعة تعرض لها؛ فإنها مخلقة للجاه، فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها، وتحصل وزنها، وتطالع موضعها، فإن وجدت النفس بالإجابة سمحة، وإلى الإسعاف هشة؛ فأظهر ما في نفسك غير محقق".

وجرت جمل ابن العميد مجرى الأمثال في هذه الرسالة، وهذا يحقق الخبرة النصية مع السياقات الاجتماعية الأخرى، وهو من جوانب عوامل التماسك النصي المهمة؛ إذ تحيلنا هذه الأمثال التي هي من صنيع ابن العميد، إلى خارج النص من خلال التواصل الذهني لدى القارئ مع الأمثال المعروفة، ومن ذلك قوله: "فلئن دعي من بعيد خير من أن تقصى من قريب"، ومنه "وبالعقل يزم اللّسان"، وفي شأن التصنيع بقي استخدام المحسنات البديعة في مستواها الثابت المنتقى بعناية فائقة.

ومن مستويات التصنيع المتقن والترابط الصوتي ما تمثل في الترادف نحو قوله:

(مرشد/ واعظ)، (خصالك/ خلالك)، (النيل/ الحيازة)، (الإسهاب/ الإطناب)، (كله/ جمعه)، كما تبدى تصنيع ابن العميد في السجع، نحو قوله: (حتى تعرف موقعها، وتحصل أوزانها، وتطال موضعها)، ومنه (فقد جمل الله خصالك، وحسن خلالك)، ومنه أيضاً (فإن وجدت النفس بالإجابة سمحة، وإلى الإسعاف هشة)، ومن التصنيع أيضاً الطباق، نحو قوله: (أقول/ ما أقول)، (لك/ عليك)، (يخف/ يثقل) وغيره، وهذا التضاد الدلالي/ الطباق، والسجع، والترادف أسهم في بناء الرسالة الفني على مستوى تماسُك النص، وعلى مستوى البنية الذهنية خارج النص؛ إذ أحالنا هذا التصنيع إلى رسائله الأخرى ليبدو التصنيع أخيراً سمةً من أهم السمات الأسلوبية التي حققت تماسُك النص عند ابن العميد. وأما خاتمية الرسالة؛ فيبدو أن ابن العميد استشعر الثقل الذي مارسه على صاحبه؛ لذلك يذيلها بخاتمية فنية مناسبة عملت على تخفيف وطء الرسالة على المستقبل، يقول: "فقد جمل الله خصالك، وحسن خلالك، وفضلك في ذلك كله، لكني أنبه تنبيه المشارك لك".

النموذج الرابع: (رسالة ابن العميد إلى أبي شجاع عضد الدولة)

مثّلت هذه الرسالة أنموذجاً في كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان .

" أنا أقدم الإجابة بحمد الله – تعالى جده – على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بإنفاق أعمارنا في زمانه . حتى شاركناه في أسباب السعادة التي لم تزل مذخورة عليه حتى صارت إليه ، وساهمناه في مواد الفضيلة التي لم تزل محفوظة له حتى اتصلت به فإن المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفات كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . فإن فضل شاع الفضل في الزمان وأهله ، وتحلّى الدهر بأفضل حليته ، وتجلّى للعيون والقلوب بأحسن زينته ، وكسا بنيه والناشئين فيه بشرف جوهره ، وأورثهم نيل فضله ، وعز العام وأهله ، وعرف لمقتبسه قدره ، وتوجهت الأذهان نحوه ، وتعلقت الخواطر به ، وصرفت الفكرة فيه ، ونشدت ضواله ، ونظمت أشتاته ، وجمعت أفراده ، ووثقت نفوس الساعين في بضاعتها بالنفاق وفي تجارتها بالإرفاق ، فصار ذلك إلى نماء العلوم وزيادها داعية ، ولتكثير قليلها وإيضاح مجهولها سبباً وعلة ، وإلى انخراط جواهرها المتفرقة في سلوك التصنيف سبيلاً ، وإلى تقييد شواردها بعُقُل التأليف طريقاً .

وإن رذل السلطان اتبعت الرذيلة اتباعاً ، وذهبت الفضائل ضياعاً ، وبطلت الأقدار والقيم ، وسلبت الأخطار والهمم ، وزال العلم والتعلم ، ودرس الفهم والتفهم ، وضرب الجهل بجرانه ، ووطئ بمنسمه ، واستعلى الخمول على النباهة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار الأدب وبالاً على صاحبه ، والعلم نكالاً على حامله . وبحسب عظيم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى مع من هذه صورته ، تعظم بملك سلطان عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة – أطال الله بقاءه ، وأدام قدرته – الذي أحله الله – عز وجل – من الفضائل بملتقى طرفها ومجتمع فرقها . فهي نوادٍ ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشوارد نوازعها حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت الرامق ، وتتشوف إليه تشوف الصب العاشق ، قد ملكها أنى توجهت وحشة المضاع وحيرة المرتاع ، فإن تغش قوماً غيره أو تزرهم ، فكالوحش يدنيها من الأنس المحل حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراعَ السيل ينصب في الحدور ، والطير ينقض إلى الوكور " [48] .

وهذه الرسالة جوابيّة لأبي شجاع عضد الدولة ، ضمنها ابن العميد فضائل السلطان

في العلم وتطوره وازدهاره من جانب، ورذائل السلطان من جانب آخر، وآثره في تخلف علوم الأمة إن هو تقاعس عن خدمة العلم والعلماء، وعلى ذلك عقدت المفارقة في هذه الرسالة.

ويبدو أن ابن العميد قد بلغ درجة عالية من الرقي العلمي، فبدا مستشاراً علميّاً في علوم الهيئة[49]، وهذا يضيف إلى شخصية ابن العميد جانباً علميّاً إلى جانبي الأدب والسياسة، فهو موسوعة كبيرة لها خصوصيتها.

ويحقق نص هذه الرسالة تماسُكاً نصيّاً من خلال تسلسل أفكارها، فتسلسُل الأفكار وتنسيقُها والتنقل فيما بينها يعدّ من أهم عوامل التماسك النصي فيها؛ إذ افتتح الرسالة بأن حمد الله وعقب على ذلك بنعمه، ثم تناول المفصل الأول منها وهو دور السلطان وفضله في إشاعة العلم وخدمة العلماء، وقد ربط الكاتب كل نجاحات العلم بالسلطان وخصّه في ذلك دون سائر الخلق.

وينتقل المترسل بعد ذلك إلى مفصل جديد من مفاصل رسالته، وهو أثر السلطان السلبي في العلم، فرذالة العلم من رذالة ذلك السلطان، ثم يقفل الكاتب ابن العميد رسالته؛ فحقق رتبة مرموقة، وتميّزت الرسالة بكثير من السماتِ الفنيةِ والأسلوبيَّةِ، وكان لها خصوصياتها وما يميزها عن غيرها من رسائل ابن العميد، وتبدت مظاهر التماسك النصي فيها كما هو آت:

1- انسجم الإيقاع في هذه الرسالة مع مفاصل مضامينها المشار إليها سابقاً؛ فكانت الدفقات الشعورية تطول وتقصر تبعاً لطول الجمل وتوسطها وقصرها. فهذه الجمل جاءت في المفصل الأول (التقديم) طويلة وكأنها مهاد النص، ثم ما إن وصلت إلى المفصل الثاني (فضائل السلطان) حتى أخذت تقصر، وكأن الدفقة الشعورية القصيرة هنا تعبّر عن إلحاح ما في نفسية الشاعر، وفيها تأكيد لدعوة الكاتب الصادقة إلى سيده ليعلي من شأن مستوى الاهتمام بالعلم والعلماء، وقد أبقى ابن العميد على الجمل قصيرة؛ مما يعني الدفقة الشعورية في المفصل الثالث (رذائل السلطان)، وهذه دعوة من الكاتب للسلاطين كي يتخلوا عن الرذائل؛ لما

لذلك من أثر سلبي على العلم والعلماء، ثم تأخذ الجمل في خاتمية الرسالة تطول شيئاً فشيئاً؛ مما يعني أن الإيقاع آخذ بالأفول، وكأن الكاتب اقتنع بأنه حقق الغاية المطلوبة من هذه الرسالة.

فمن أمثلة الجمل القصيرة التي حققت إيقاعاً سريعاً ما جاء في المقطع الأول، نحو قوله: "وتجلّى للعيون والقلوب بأحسن زينته، وكسا بينه والناشئين فيه بشرف جوهره، وأورثهم نيل فضله، وعز العلم وأهله، وعرف لمقتبسه قدره، وتوجّهت الأذهان نحوَه، وتعلّقت الخواطر به، وصرفت الفكر فيه، ونشدت ضواله، ونظم أشتاته، وجمعت أفراده"، وهذا ما نجده في اللاحق؛ إذ جاءت الجمل قصيرة لتحقق إيقاعاً سريعاً ارتبط بحالة الكاتب النفسية وإلحاحها، ومن أمثلة الإيقاع البطيء ذلك ما جاء في خاتمية الرسالة من جمل طويلة، وهي مرتبطة بدلالة فحواها أن ابن العميد أخذ يستشعر الرضا من رسالته، يقول: "حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصب في الحدور، والطير ينقض إلى الوكور".

2- التصنيع: لم تزل المحسنات البديعية تسيطر على رسائل ابن العميد، وهي موظفة بدقة وعناية ولا سيما في هذه الرسالة، فيوظفها لتحاشي الملل الذي قد ينشأ لدى عضد الدولة، وهذا من الأمور التي دعا إليها ابن العميد وهو يضع أسس الكتابة في فن الترسل عندما خاطب صاحبه أبا عبد الله كما مر معنا، وهذا التصنيع زاد من عوامل التماسك الصوتي، فكان منه السجع "توجهت الأذهان نحوه، وعلقت الخواطر به، وصرفت الفكر فيه، ونشدت ضواله"، فابن العميد "يمزج السجع مزجاً معتدلاً، وأكثر سجعه يجري قصير الفقرات حسن الازدواج"[50]. ومن التصنيع، نجد الترادف الذي قام بدور التفسير الدلالي وتجميع المدلولات ضمن حقول دلالية واحدة، ومن ذلك: (الخواطر/ الفكر)، (أشتاته/ أفراده)، (سبباً/ علة)؛ مما يعني تماسك الجمل المتوالية. ومن المحسنات البديعية أيضاً الطباق، نحو: (الباطل/ الحق)، (الرذيلة/ الفضائل)، (الخمول/ النباهة)، ولعل في هذا ما يساعد على إفهام المتلقي قصدية النص.

3- الصورة: اتكأ الكاتب في رسالته على بعض الصور القائمة على التشخيص، ومن ذلك قوله: "تحلّى الدهر بأحلى حليته"، ومنه "استولى الباطل على الحق"، ومنه "وتتشوف الصب العاشق"، ومن ذلك أيضاً "تلفت تلفت الرامق" ومن الصور ما كان منها مستمداً من الواقع، فعبرت عن مشهد واقعي ابتعد فيها ابن العميد عن الخيال، نحو: "حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصب في الحدور". وهذا التصوير يحقق الجانب الإفهامي أيضاً الذي هو من عوامل تماسك النص.

4- التكرار: اتكأ ابن العميد على تكرار ثلاثة حروف، هي: (حتى) و(بل) و(إن الشرطية) بشكل واضح، وهذا حقل خصب للدراسات التي تعنى بنحو النصّ، فالترابط النصي لا يقتصر على الجمل فحسب من حيث هي جملة مكتملة السياق، بل لا بد من وجود الحرف الذي يشد من لُحمة علاقات هاتيك الجمل.

أما الحرف (حتى)، فدلالاته مرتبطة بوصول الغاية ومنتهى الشيء. فأسباب السعادة صارت إليه وما لغيره بعد ذلك من سعادة، والفضيلة اتصلت به وما لغيره من فضائل، يقول: "حتى شاركناه في أسباب السعادة التي لم تزل محفوظة له حتى اتصلت به"، ومن ذلك "فهي ممن لاقت حتى تصير إليه، وشوارد ونوازع حيث حلّت حتى تقع عليه"، ومنه "حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصب في الحدور".

أما تكرار الحرف (بل)؛ فحقيقته الإضراب، لكن ابن العميد لم يقصد به امتناع الأول وإثبات الثاني أو امتناع الثالث، فهو قصد ذلك التسلسل في الوصول إلى الغاية النهائية (أهل الأرض كافة)، يقول: "أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جده على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة، بل لرعيته عامة، بل لأهل الأرض كافة"، فنجده أطلق الخاص ثم العموم ثم الشمول.

وأما (إن الشرطية) فوزّعها ابن العميد بطريقة فنية تربط الفقرات معاً، فاستخدامها الثالث لها أحالنا إلى استخدامها الثاني، والثاني أحالنا إلى الأول؛ مما يزيد من لُحمة النص وتماسُكه، ويجعل المُتلقّي يخمن الجملة البعدية واسترجاع الجملة

القبلية، فابن العميد عمل على توزيعها لتعلن بداية مفصل جديد؛ ففي المفصل الأول من الرسالة، يقول: "فإن فضل شاع الفضل في الزمان وأهله. . . "، فهو يعني السلطان الفاضل. وفي المفصل الثاني نجده يصدره بها أيضاً مما يحيلنا إلى المفصل الأول؛ فيذكرنا به بعد طول العبارة لنعقد المقارنة، وهذا مقصدية الرسالة، وهو الذي دعا صاحب زهر الآداب لأن يصنف هذه الرسالة تحت عنوان (من كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان)، يقول: "وإن رذل السلطان اتبعت الرذيلة اتباعاً، وذهب الفضائل ضياعاً. . . ".

وأما المفصل الثالث؛ فهو يمثل خاتمية الرسالة، وفيها ما يحيلنا إلى المفصل الثاني وهكذا.

5- الحكمة: وهذه الرسالة كغيرها من رسائل ابن العميد؛ ففيها ما جرى مجرى الحكم، وهذه الحكم غالباً ما تختزل مضامين الرسالة فيها، ومن ذلك في هذه الرسالة قوله: "فإن المرء أشبه شيء بزمانه، وصفات كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه".

6- وأخيراً، استطاع ابن العميد توفير عوامل الحبك، والتماسك، واقتران الجمل، والفقرات في هذه الرسالة فانتقى الدوال، وهيّأ لها التقديم المناسب والعرض الجيد والخاتميّة المنسجمة مع السابق، وابتعدت دواله عن الانفعالية، وتكفل الإيقاع -لا الدال- بإظهار تلك الانفعالية، وكما تميزت باختلاف نبرة الخطاب عن النماذج الثلاثة السابقة، إذ يمكن القول إنّ التشكل الصوتي في الرسائل كان من أكثر وسائل الترابط النصي فيها.

النتائج

1- حقق التكرار بمستوياته (التكرار، وشبه التكرار، والتكرار الجراماتيكي) تماسُك النص في رسائل ابن العميد، لا سيما ما تجلّى في تكرار الأدوات النحويّة من استفهامٍ وشرطٍ، وهذا التكرار كان يضاعف الضغط النفسي على المتلقي.

2- استخدم ابن العميد وسيلة التضام، فكان منه المتضاد والتنافر وعلاقة الجزء بالكل.

3- حققت الإحالات الداخلية والخارجية النصية لرسائل ابن العميد التماسك النصي، وفي الإحالات الخارجية تبدت حالة إبداعية النص/ بمعنى تحققت المقامية.

4- حقق الجانب الصوتي التصنيعَ في رسائل ابن العميد أعلى مستويات التماسك النصي، وهو ما أشار إليه علم نحو النصّ، ووصفه بأنه من أهم عوامل الترابط النصّي.

5- استن ابن العميد ذكر قاعدة الشيء والمضي في تفصيله لاحقاً، وهي إحالة بعدية كان لها أثر كبير في تماسك النص.

6- عمل ابن العميد على استخدام تقانة الحذف والوصل في رسائله، وهما معياران مهمان من معايير الترابط النصي.

7- تجلى التناص، لا سيما القرآني منه بوضوح، وهو ما شكل حالة إبداعيّة تعبّر عن خبرات النص، إذ عدّ التناص من أهم ركائز علم "نحو النصّ".

8- النص النقدي في رسائل ابن العميد لم يكن أقل مستوى من النص الإنشائي عند ابن العميد، وهو ما تبدى في الرسالة الثالثة التي حققت أعلى مستويات النصية كما اتضح سابقاً.

9- وبعد، إن نظرية "نحو النصّ" لا بد من الإفادة منها في فهم النصوص وتحليلها، وليس الاقتصار على نظريتها دونما تطبيق، لا سيما في مثل هذه النصوص التراثية الغنية التي هي على شاكلة رسائل ابن العميد التي تمثل مادة خصبة للدراسة ولأكثر من منهج وطريق، ففي الرسائل ما يتجاوز أدوات نظرية "نحو النصّ" نفسها؛ إذ يلمح منها ما قد يضيف إلى نظرية النص أدوات تحليلية أخرى جديدة تساعد المتلقي على فهم النص فهماً سليماً غير معتمد على نقدٍ انطباعيٍّ نحويٍّ كان أو لغويٍّ تقليديٍّ.

جدول ملحق لمصادر رسائل ابن العميد

اسم الكتاب	جزء	الصفحة	الكتاب / الرسالة
يتيمة الدهر – للثعالبي (ت429هـ)، تحقيق: مفيد قميحة	3	185 – 159	في ذكره، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره (من نثره ونظمه).
أخلاق الوزيرين– للتوحيدي، (ت. 36هـ)، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.		القسم الثاني الخاص بابن العميد	أخباره، صفاته وبعض من مكاتباته.
زهر الآداب، للحصري القيرواني، (ت 453هـ)، تحقيق: صلاح الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.	4 4 1 1 3 3 3	177 237 30 161 13 214 268 – 263	* إلى الطبري * إلى الطبري * إلى بعض إخوانه * إلى القاضي ابن خلاد * لأبي شجاع عضد الدولة * إلى بعض إخوانه * إلى الطبري
الزهر، تحقيق: زكي مبارك		567 547 368 134	* إلى بعض إخوانه * في رسالة له * لمن تزوجت أمه * إلى ابن خلاد

اسم الكتاب	جزء	الصفحة	الكتاب / الرسالة
* الـزهـر، تحـقـيـق: عـلـي محمد البجاوي، له ثلاث عشرة رسالة موزعة بحسب الصفحات متسلسلة لا الأجزاء، ط/ 1، دار إحياء الكتب العلمية، حلب 1953		8 124 347 538 561 589 677 771 819 993 994 1048 1049	* رسالة له * رسالة له * لمن تزوجت أمه * في شهر رمضان * إلى بعض إخوانه * في ذكر السلطان * بديع ابن العميد * كتاب لابن العميد * إلى الطبري (3) رسائل * إلى الطبري * إلى الطبري * إلى الطبري * يهنئ بولدين
التذكرة الحمدونية – لابن حمدون، (ت 562هـ)، تحقيق: إحسان عباس ط1، دار صادر، بيروت، 1996.	1 4 5 6 6 8 8	303 226 414 /70 /52 331 376 /345 315 /144 317	له ذكر وأخبار له ذكر وأخبار له أخبار وأشعار له رسالة إلى ابن بلكا له أخبار له أخبار له رسالة
نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، (ت733هـ)، ط1، تحقيق: يحيى الشامي دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.	5	129	رسـالـة فـي تـهـنـئـة عضد الـدولـة وقـد ولـد له توءمان.

الهوامش والمراجع

(1) عفيفي، أحمد: **نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي**، ط1، مصر، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2001م ص21. للمزيد ينظر: إبراهيم، خليل: **الأسلوبية ونظرية النص**، ط1، لبنان، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1997م، ص 146. وآمتسيك، كريستن: **لسانيات النص**، ترجمة: سعيد بحيري، ط1، مصر، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2009م، ص 39. وكريستيفيا، جوليا: **علم النص**، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1997م، ص14. وبرينكر، كلاوس: **التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمنهج**، ترجمه وعلق عليه ومهد له: أ د. سعيد البحيري، ط1، مصر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2005م، ص 29. وخطابي، محمد: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص**، د. ط، لبنان، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991م، ص 13. ورولان بارت: **هسهسة اللغة**، ترجمة: منذر عياشي، ط1، سوريا، دمشق: مركز الإنماء الحضاري دار كنعان، 1999م، ص 87. ورولان بارت: **لذة النص**، ط1، ترجمة: فؤاد الصفا وآخرين، المغرب: دار توبقال للنشر، 1988م، ص 63.

(2) العبد، محمد: **النص والخطاب والاتصال**، ط1، مصر، القاهرة: نشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014م، ص10.

(3) نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي، ص 75.

(4) نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي، ص 20.

(5) مصلوح، سعد: **من نحو الجملة إلى نحو النصّ**، د. ط، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد: طه نجم وعبده بدوي، الكويت: جامعة الكويت، 1990م، ص 408.

(6) من نحو الجملة إلى نحو النصّ، ص 408.

(7) ديبوجراند، روبرت: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، ط1، مصر، القاهرة: عالم الكتب، 1998م، ص 103.

(8) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت159): **البيان والتبيين**، ج1، د. ط، تحقيق: عبد السلام هارون، لبنان، بيروت: دار الجيل، دت، ج1، ص67.

(9) حمدان، صالح محمد: **رفعت الصليبي 1952-1916، دراسة في شعره وآرائه النقدية والفلسفية**، الطبعة العربية الأولى، الأردن، عمان: دار البيروني للنشر والتوزيع، 2018م، ص 103.

(10) نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي، ص 103.

(11) نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي، ص 103.

(12) فان ديك: **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات 1**، ترجمة وتعليق: الدكتور سعيد البحيري، ط1، مصر، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 2001م، ص 64.

(13) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 42.

(14) نحو النصّ اتجاه جديد من الدرس النحوي، ص 105.

(15) التوحيدي، أبو حيان (ت360هـ): **أخلاق الوزيرين**، وضع حواشيه: خليل منصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص174.

(16) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (681هـ): **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، م5، بيروت: دار صادر، 1997م.، ص105.

(17) وفيات الأعيان، ص106، ويتيمة الدهر، ص162.

(18) أخلاق الوزيرين، ص234.

(19) الثعالبي، أبو منصور (ت429هـ): **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، لبنان، بيروت: المكتبة الوقفية للكتب، 1983م، ص164.

(20) جاء في اليتيمة "وكان كل من أبي العلاء السروي، وأبي الحسن العلوي العباسي، وابن خلاد القاضي، وابن سمكة القمي، وأبي الحسين بن فارس، وأبي محمد بن هندو، يختص به يداخله وينادمه حاضرا، ويكاتبه ويجاوبه ويهاديه نثرا ونظما " اليتيمة، ص164.

(21) الزهيري، محمود غناوي: **الأدب في ظل بني بويه**، د.ط، بغداد: وزارة المعارف العراقية، 1949م، ص117.

(22) ضيف، شوقي: **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط 13، ج1،القاهرة، مصر: دار المعارف، د.ت، ص208.

(23) العلي، فيصل طحيمر: **فن الترسل عند عبد الحميد وابن العميد**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد محمود نوفل، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2001، ص 196.

(24) المرابطة، رامي عثمان: **ابن العميد دراسة فنية**، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د هاني صبحي العمد، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2008.

(25) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429 هـ): **يتيمة الدهر**، ص166، وأوردها ابن حمدون (ت 562هـ) في التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، ط1، بيروت: دار صادر، 1996م. وأوردها أيضاً النويري (ت733هـ) في **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: ربحي الشامي، ط1، م5 بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

(26) أورد الثعالبي فصلاً منها في اليتيمة.

(27) يتيمة الدهر، ص167، 168، والتذكرة الحمدونية، ج6، ص331.

(28) يتيمة الدهر، ص 166.

(29) يتيمة الدهر، ص 166

(30) يتيمة الدهر، ص169.

(31) يتيمة الدهر، ص167.

(32) يتيمة الدهر، ص 168.

(33) يتيمة الدهر، ص167.

(34) يتيمة الدهر، ص 167

(35) يتيمة الدهر، ص168.

(36) سورة الشرح، الآية 6.

(37) يتيمة الدهر، ص168.

(38) سورة المرسلات، الآية (30).

(39) يتيمة الدهر، ص168.

(40) سورة المرسلات، الآية (31).

(41) الحاج حسن، حسين: **أعلام في النثر العباسي**: ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993م، ص167.

(42) أبو عبد الله الطبري قيل هو الحسين بن محمد بن عبد الله الحناطي الطبري، كانت وفاته قبل الأربعمئة بقليل أو بعدها بقليل، وكان أبو عبد الله هذا كثير النوادر، فصيح اللّسان، وكان رئيساً في الباطنية، وكان جريء المقدم، متقى اللّسان، وكان ابن العميد يحبه ويقدمه، وله إليه رسالة مشهورة تتضمن عتباً ممضّاً، وأجابه أبو عبد الله عنها فما عجز عن موازنته، على أن الكتابة لم تكن ديدنه، ولكنه كان عجيب الكلام في كل فئة، وكان معتمده الإبهام دون الإفهام، انظر التوحيدي، أبو حيان (ت360هـ): **البصائر والذخائر**، تحقيق د. وداد القاضي، ط1، ج4، بيروت، دار صادر: 1988. (ج/ 2، ص209) و(ج/ 4، ص12) و(ج/ 7، ص67 - 68 - 71 - 72 - 74).

(43) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت453هـ): **زهر الآداب وثمر الألباب**، شرح: د. زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة: د. ط، د. ت م4، ص 237.

(44) الثعالبي، يتيمة الدهر، ص164.

(45) زهر الآداب وثمر الألباب، ص177.

(46) العلي، فيصل: **فن الترسل عند عبد الحميد وابن العميد**، 2001، نابلس: جامعة النجاح الوطنية (رسالة ماجستير) إشراف: محمد نوفل، ص151.

(47) لم يقتصر نقد ابن العميد على النثر وحسب؛ بل كان ناقداً للشعر، قال الصاحب بن عباد فيه: "فما رأيت من يعرف الشعر حق معرفة، وينقده حق نقده غير الأستاذ الرئيس أبي الفضل بن العميد، فإنه يجاوز نقد الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات، فلا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن"، وللصاحب آراء كثيرة في صاحبه كان قد تناولها بدوي طبانة في دراسته الموسومة بـ (الصاحب بن عباد الوزير والأديب) د. ط، المؤسسة المصرية العامة، مصر، دت ص275 وما بعدها.

(48) زهر الآداب وثمر الألباب، المجلد 3، ص14، 15، ويوجد فصل من هذه الرسالة في يتيمة الدهر للثعالبي، ولكن ثمة اختلاف في بعض الجمل، وهناك جمل غير موجودة في الزهر، ومنها موجود في الزهر وغير موجود في اليتيمة، ويبدو أن باعث ذلك كان بسب غفلة الثعالبي عن هذه الرسالة، كما يقول في صدر

هذا الفصل : "أقرأني أبو الحسين الفارسي النحوي – وقد اجتمعنا بإسفارين عند زعيمها العباس الفضل بن علي – فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل، فنبهني على شرفه في جنسه، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه، ومتعجباً من نفاسة معناه، وبراعة لفظه" انظر اليتيمة، ص169.

(49) هذه رسالة جوابية من ابن العميد لأبي شجاع عضد الدولة عن كاتب اقتضاه فيه صدر كتاب ألفه أبو الحسن الصوفي في نوع من علوم الهيئة، انظر زهر الآداب للحصري، ص13.

(50) أعلام في النثر العباسي، ص165.

المراجع بالحروف اللاتينية

References in Roman Script

(1) ’afīfī, āhmad: **nahwa al-naṣ ātiğāh ğadīd mīna al-dars al-naḥwī**, ṭ1,miṣr, al-qāhirah: maktabat zahrā’ al-šarq, 2001m, ṣ 21.

(2) ābrāhīm, ḡalīl: **al-āslubīyah w naẓarīyah al-naṣ** , ṭ1, lubnān, bayrut : al-muvasasah al-’arabiyah lildirāsāt, 1997m, ṣ 146.

(3) ’āmtsīk, krīstn: **lisāniyāt al-naṣ**, tarğamah: s’Īd buḥayrī, ṭ1, miṣr, al-qāhirah:maktabat zahrā’ al-šarq, 2009m, ṣ 39.

(4) krīstīfyā, ğulyā: **’ilm al-naṣ**, tarğamah: farīd al-zahī, murāğa’at ’abd al-ğalīl nāẓim, ṭ2, al-maġrib, al-dār al-bayḍā’, Dār tūbqāl lilnašr: 1997m, ṣ14.

(5) brīnkar, klāws: **al-tahlīl al-luġawī lilnaṣ madḫal ālā al-mafāhīm al-āsāsiyah wa al-manhağ**, tarğamat w ’alaqa ’alayh wa mahada lahu: ā d. sa’īd al-buḥayrī, ṭ1,miṣr: muvasasat al-muḫtār lilnašr wa al-tawzi’: 2005m, ṣ29.

(6) ḫuṭābī, muḥamad : **lisāniyat al-naṣ madḫal āla ānsiğām al-naṣ**, d.ṭ, lubnān, bayrut: al-markaz al-ṯaqāfī al-’arabī,1991m,ṣ13.

(7) rūlān bārt: **hashasat al-luġah**, tarğamat: munḏr ’ayāšī, ṭ1, sūryā, dimašq: markaz al-ānmā’ al-ḥaḍārī dar kan’ān, 1999m, ṣ87.

(8) rūlān bārt: **laḏat al-naṣ**, ṭ1, tarğamat: Fuvad al-ṣafā wa ’āḥarūn, al-maġrib:Dār tūbqāl lilnašr, 1988m, ṣ63.

(9) Al-’abd, muḥamad: **al-naṣ wa al-ḫiṭab wa al-ātiṣal**, ṭ1, miṣr, al-qāhirah: Našr al-ākādīmiyah al-ḥadīṯah lilkitāb al-ğāmi’ī, 2014m, ṣ10.

(10) Maṣlūḥ, sa’ad: **min Naḥw al-ğumlah āla Naḥw al-naṣ**, d.ṭ , al-kitāb al-tiḏKarī biqism al-luġah

al-'arabiyah, ā'dād : ṭaha naǧm wa 'abdh badawī, al-kuwayt , 1990m, ṭ 408.

(11) Dibūǧrānd, Rūbrt : **al-naṣ wa al-ḫiṭāb wa al-āǧrā'**, tarǧamat: tamām ḥasān, ṭ1, miṣr, al-qāhirah: 'ālim al-kutub ,1998m, ṭ103.

(12) Al-ǧāḥiẓ, ābū 'uṯman 'amro bin baḥr (t 159): **al-bayān wa al-tabyīn**, ǧ1, d.ṭ, taḥqīq: 'abd al-salām harūn, lubnān, bayrut, dār al-ǧīl , td, ǧ1, ṣ67.

(13) ḥamdān, ṣāliḥ muḥamad : **rif'at al-ṣalībī 1916-1952**, **dirasah fī ši'rih wa 'ārā'ih al-naqdiyah wa al-falsafiyah**, al-ṭab'ah al-'arabiyah al-āūlā, al-āurdun, 'amān: dār al-bīrūnī lilnašr wa al-tawzī' ,2018m, 103.

(14) Fān dīk: **'īlm al-naṣ madḫal mutadāḫil al-āḫtiṣāṣāt** 1, tarǧamat: wa ta'liq al-duktūr s'īd al-buḥayrī, ṭ1, miṣr, al-qāhirah, dār al-qāhirah lilkitāb, 2001m, ṣ64.

(15) Al-tawḥīdī, ābū ḥayān (t360h): **āḫlāq al-wazīrīn**, waḍ' ḥawāšīh: ḫalīl manṣūr, ṭ1,bayrut: dār al-kutub al-'ilmiyah, d.t, ṣ174.

(16) ābn ḫalkān, ābū al-'abās šams al-dīn (681h): **wafyāt al-ā'yan**, taḥqīq: āḥsān 'abās, d.ṭ, m5, bayrut: dār ṣādir, 1997m, ṣ105.

(17) Al-ṯa'ālibī, ābū manṣūr (t 429 h): **yatimah al-dahr fi maḥāsin āhl al-'asr,** taḥqiq: mufīd qamīḥah, ṭ1,lubnān, bayrut: al-maktabah al-waqfiyah lilkutub, 1983m, ṣ164.

(18) Al-zuhayrī, maḥmūd ġināwī: **al-ādab fi ẓil banī bawīh**, d.ṭ, baġdād: wizārah al-ma'ārif al-'irāqiyah,1949m, ṣ117.

(19) ḍayd, šawqī: **al-fan wa maḏāhiburu fi al-naṯr al-'arabī**, ṭ13, ǧ1, dār al-ma'ārif, al-qāhirah, miṣr, d.t, ṣ208.

(20) Al-'aliy, fayṣal ṭaḥmir: **fan al-tarasul 'ind 'abd al-ḥamīd wa ābn al-'amīd**, risālah māǧistīr, āšrāf ā.d muḥamad maḥmūd nūfal, ǧāmi'at al-naǧāḥ Al-waṭaniyah, nāblus, filisṭīn,2001,ṣ196.

(21) Al-murābaṭah, rāmī 'uṯmān: **ābn al-'amīd dirāsah faniyah**, risālah māǧistīr, āšrāf ā.d hāni ṣubḥī al-'amad, al-ǧāmi'ah al-āurduniyah, 'amān al-āurdun, 2008.

(22) Al-ṯa'ālibī, 'abd al-mulk bin muḥamad bin āsmā'īl (t429 h): **yatīmah al-dahr**, ṣ166, wa āwraduhā ābn ḥamidun (t 562h) fi al-taḏkirah al-ḥamdūniyah, taḥqīq: āḥsān wa 'āḫarūn,ṭ1, bayrut:dār ṣādir,1996m.

(23) al-nuwayrī (t733h) **fī nihāyah al-arab fī funūn al-ādab**, taḥqiq: ribḥī al-šāmī, ṭ1, m5, bayrut: dār al-kutub al-'ilmiyah,2004m.

(24) ḥusayn al-ḥāǧ ḥasan, **ā'lām fī al-naṯr al-'abāsī**: ṭ1, bayrut: al-muvasasah al-ǧāmi'iyah lildirāsāt wa al-našr wa al-tawzī' ,1993m, ṣ167.

(25) al-tawḥīdī, Ābū ḥayān (t360h): **al-baṣāār wa al-ḏaḫāār**, taḥqīq al-duktūrah widād al-qāḍī, ṭ1, ğ4, dār ṣādir: bayrut,1988. (ğ/2, ṣ209) wa (ğ/4, ṣ12) wa (ğ/7, ṣ67-68-71-72-74)

(26) Al-qayrawānī ābū āsḥāq ābrāhīm bin 'ali al-ḥaṣrī (t453h): **zahr al-'ādāb wa ṯamr al-ālbāb**, šarḥ al-duktūr: zakī mubārak, taḥqīq: muḥamad maḥy al-dīn 'abd al-ḥamīd, ğ1, al-qāhirah: d.ṭ, d.t m4, ṣ 237.

(27) Al-'alī, fayṣal: **fan al-tarasul 'in 'abd 'abd al-ḥamīd wa ābn al-'amīd**, 2001, nāblus : ğāmī'at al-nağāḥ al-waṭaniyah (risālat māğistīr) āšrāf : muḥamad nūfl, ṣ 151.

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

- بحوث باللغة العربية
- بحوث باللغة الإنجليزية
- بحوث باللغة الفرنسية
- مناقشات وندوات
- عروض الكتب الجديدة

مجلس النشر العلمي

رئيس التحرير

أ.د/ عبد الهادي ناصر العجمي

ص.ب: 26585 الصفاة 13126 الكويت- هاتف: 24817689(965)- 24815453(965) فاكس: 24812514 (965)

P.O. Box 26585 Safat,13126 Kuwait - Tel.:(965) 24817689 - (965) 24815453 - Fax: (965) 24812514

Email: ajh@ku.edu.kw - http:// www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh